

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة السادسة - العدد الحادي والعشرون - ربيع ١٣٩٥ ش / آذار ٢٠١٦ م

ص ١٣٦ - ١٢٥

نصوص ديوان "هشت كتاب" (الكتب الثمانية) لسهراب سبهري؛ وتأويلها من المنظور الرياضي

جواد قرباني*

عليرضا ايرانبخش**

الملخص

إن وجود المفردات والمفاهيم المتعلقة بالعلوم من مثل الرياضيات، والجيولوجيا، وعلم الأحياء، والكيمياء، والفيزياء في الشعر يؤدي إلى ظهور صعوبات شكلية ومضمونية تجعل دراستها وتقدها أمراً ضرورياً. إن العلم قرين دوماً بالدقة وإن دخوله في مجال الشعر والأدب يؤدي إلى أن يصطبغ بالدقة أيضاً كما يمنحهما شيئاً من العمق وقد يساعد على الفهم الصحيح للشعر وقد يؤدي إلى انغلاق مفاهيمه والرمزية فيه مما يؤدي إلى زيادة صعوبة فهمه. يعتبر علم الرياضيات من العلوم الأساسية وإن دخول مفرداته ومفاهيمه في الشعر، سبباً عليه ظهور تطورات في الشكل والمضمون فيه كما يؤدي إلى تغيير نسبة فهم المتلقى منه وهو أمر جدير بالدراسة والنقد. تحاول هذه الدراسة استخراج جميع المفردات والمفاهيم المتعلقة بعلم الرياضيات في أشعار سهراب سبهري، محللة العلاقة بين علم الرياضيات والأدب، وكذلك تأثير علم الرياضيات على الشعر في إطار ديوان هشت كتاب "الكتب الثمانية" لسهراب سبهري، لمعرفة تأثير هذا العلم على مدى فهم الشعر. إذ كما يرى كاتبو هذه السطور فإن دخول المفردات والمفاهيم الرياضية إلى شعر سهراب سبهري كان ذا أثر كبير على شعره، وأضفى عليه في أكثر الحالات شيئاً من الإيجاز، والتخييل، والتصوير، والدقة. وفي الوقت نفسه كان دخول هذه المفردات إلى شعره في بعض الأحيان رغم إثراء هذا الشعر وتعميق معناه سبباً في زيادة صعوباته على الفهم وتعقيده، حيث يتطلب فهمه تدقيقاً أكثر. بحيث إن انطلاقه من قيود هذا التعقيد المحتمل، من شأنه أن يسبب سهولة التلقي والفهم لهذا الشعر أكثر فأكثر.

المفردات الدليلية: النقد، التأويل، الفهم، سهراب سبهري، هشت كتاب، العلوم الأساسية، الرياضيات.

*. أستاذ مساعد في اللغة الفارسية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية في اسلامشهر، اسلامشهر، إيران

** . أستاذ في علم الأحياء بجامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات، طهران، إيران

Bazbaran_i@yahoo.com

تاريخ القبول: ١٣٩٤/٦/٢٧ ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٣/١١/١٢ ش

المقدمة

لقد سبق استخدام المفردات والقضايا المتعلقة بالعلوم ومنها علم الرياضيات، وعلم الأحياء، والكيمياء، والفيزياء في الأدب الفارسي منذ العصور القديمة. إن شعراء من مثل الخاقاني أدخلوا في الشعر تعابير متعلقة بعلم الطب، كما أدخل الخيام مفردات علم الرياضيات في شعره، وهو أمر قد نلاحظه في أشعار بعض الشعراء المعاصرين في قالبه المعاصر، وملائماً لمواضيع هذا العصر، وهو أمر يمهّد الأرضية لتجاور العلوم المختلفة مع الشعر والأدب واقترانها بهما.

سوابق البحث

لم نعثر في الآثار القديمة والمعاصرة أثراً من دراسة مفردات العلوم ومضامينها ونقدها لكي يتسنى لنا استخدام نتائجها في هذه المقالة. وإن البحوث الموجودة في هذا الصدد لا يعدو كونها استخراجاً وجمعاً ليس إلا.

ولا نخطئ إذا قلنا بأن الشعراء كانوا يستخدمون مفاهيم علم الرياضيات بسبب اطلاعهم عليها كان ذلك بوعي منهم أو من دون أن يتعمدوا ذلك. غير أن الموضوع الجدير بالاهتمام هو أن بعضاً من هذه المفردات والتراكيب قد وردت بشكل واع وبشحنة من المعنى الرياضي في الشعر. لذا فإن فهم النصوص الأدبية وأشعار الشعراء أكثر فأكثر، يتطلب منا معرفة هذه المصطلحات ومقارنة استخدامها مع تعريفها الاصطلاحية في علم الحساب للاهتمام إلى قيمة معلومات الشعراء الأقدمين.

وز رياضي مشكلى چندم به خلوت حل شده است

واندر آن جز واهب از توفيق كس نه ياورم

- لقد انحلت بعض مشاكل في علم الرياضيات عندما اختليت بنفسى، ولم

يساعدنى فيه أحد غير الله الواهب. (أنورى، لاتا: ٦٨٦ نقلا عن نظامى بهروز

وصلواتى، ٢٠٠٦م: ١٢)

أما فيما يتعلق بسهراب سبهري فإن نظرة عابرة منا على مراحل تعليمه تدلنا على أنه أنهى الثانوية في فرع العلوم التجريبية المؤسس على علوم من مثل الرياضيات،

والفيزياء، والكيمياء، وعلم الأحياء، والجيولوجياء. وبعد أن تخرج منها دخل كلية الفنون الجميلة بجامعة طهران ليدرس فيها الرسم. إن هذا الفرع يتميز بوجود الأشكال الهندسية والرياضية فيه وتكثر فيه الأحجام والزوايا لذا فإن من الواضح أن سبهرى قد اطلع بشكل جيد على الرياضيات، ومصطلحاتها، ومفاهيمها، وقد دخلت شعره أيضاً. إن دخول هذه القضايا فى شعره قد خلق شيئاً من التغيرات فى مستوى فهم وإدراك هذا الشعر حيث يزداد تعقيداً حيناً ويزداد عمقاً وتأثيراً حيناً آخر. لقد تم استخراج المصطلحات الرياضية ومفاهيمها من مجموعة "هشت كتاب" وتمت دراستها، ونقدها، وتحليلها بعد ذلك كما يلي:

١. الخط

تا در خطهاى عصيانى پيكرت شعله گمشده را بربايم
- لكى أختطف الشعلة الضائعة فى خطوط جسدك المتمردة (هشت كتاب،

١٩٩٩م: ١٥٢)

يعتبر الخط واحداً من المصطلحات الهندسية التى لم يتم التعريف به غير أن استخدامه المتكرر قد حوِّله إلى مفردة عامة غير تخصصية فالشاعر بدلاً من أن يوضح الشكل المقصود ظاهرياً فإنه يبادر إلى استخدام هذا المصطلح الرياضى المعروف بين عامة الناس ليبلغ مراده بسهولة فالخط يتشكل من مجموعة من النقاط اللامتناهية ويستطيع الشاعر عبرها نقل العديد من النقاط الخفية إلى المخاطبين فهو يبحث عن شعلة ضائعة تضىء وتدفع.

٢. الانحناء

رفتم، غرورم را بر ستیغ عقاب-آشيان شكستم

واينك، در خميدگى فروتنى، به پاى تو ماندهام

- ذهبت فأذلت غرورى على قمة تسكنها النسور

- وها أنا ذا بقيت من أجلك فى انحناء التواضع (نفسه: ١٥٩)

توجد فى الرياضيات أنواع من الخطوط ومنها الخط المنحنى، فقد شبه الشاعر فى هذا البيت وبشكل فنى رائع الغرور ممزوجاً بالإيهام على شكل خط ممتد حيث إن قمة

الجبل في بداية الأمر تصور خطأً ممتداً نحو الأعلى وبعد ذلك مباشرة يتحدث الشاعر عن الخط المنحني الذي شبه التواضع به. فالخط الممتد المعبر عن الغرور قد تبدل إلى الخط المنحني الدال على التواضع فالقامة المنحنية تذكّر بالتواضع إن لم تكن نتيجة الشيخوخة والمهرم.

٣. العدد المربع

زندگی "مجذور" آینه است

- إن الحياة مربع المرايا (نفسه: ٢٩١)

إن مربع كل عدد في الرياضيات هو ضرب العدد في نفسه ولا ضعف ذلك العدد؛ لذا فإن مربع كل عدد أكبر من ضعف ذلك العدد، فكلما كان العدد أكبر كلما كان المربع أكبر. فالشاعر هنا قد أحل المرايا محل العدد معتبراً الحياة نتيجة المربع. وهنا لا بد من الانتباه إلى أن نتيجة هذا الجزء أي الحياة ليست سوى مربع للمرايا ففي الواقع فإن: المرأة × المرأة = الحياة.

إن صورة كل شيء تتعدد بين المرايا بشكل لا متناه، فإذا ما وُضعت مرآة في الأمام وأخرى في الخلف فإن الإنسان سيشاهد صورة افتراضية في حالات مختلفة. فالشاعر قد أراد مفهوم الخلود بضرب المرأة فيها والحصول على نتيجة هي الحياة، فهو يقصد أن الحياة تتكرر بين المرأتين بشكل لا متناه؛ أي إن الحياة خالدة.

٤. الأسية

زندگی گل به "توان" ابدیت

- ما الحياة سوى الوردية أس الأبدية (نفسه)

إن الأس في الرياضيات، يعنى ضرب العدد في نفسه ثلاثرات "مكعب"، مثل: $2 \times 2 \times 2 = 8$ ولقد جعل الشاعر هنا أبدية الورد هي المسيطرة، وسيكون بإمكاننا أن نشير إلى الأبدية التي تعنى اللانهاية بالصيغة التالية ورود لا متناهية = الحياة. ففي علم الرياضيات سيكون حاصل أي عدد أس اللانهاية هو اللانهاية؛ وبناء على هذه الصيغة فإن الشاعر يعتبر الحياة غاية لا متناهية في الجمال، إذ يتم ضرب الوردية وهي مظهر

الجمال فى نفسها بعدد لا متناه.

٥. الضرب

زندگى "ضرب" زمين در ضربان دل ما

- إن الحياة هى ضرب الأرض فى خفقات قلوبنا (نفسه)

تعتمد عملية الضرب إحدى العمليات الأساسية فى الرياضيات، فمفردة الضرب الرياضية إذا توسطت عددين فإن عملها هو الزيادة. وبالنظر إلى أن الأرض واسعة، وأن خفقات قلوب الإنسان لا متناهية هى الأخرى، فإن الحياة يتم رسمها كبيرة ولا متناهية. فالأرض \times خفقات القلب = الحياة. الواسعة \times اللامتناهية = اللامتناهية.

٦. الهندسة

زندگى "هندسه" ساده و يكسان نفس هاست

- الحياة هى الهندسة البسيطة الموحدة للأنفاس (نفسه)

تعتبر الهندسة إحدى فروع علم الرياضيات والتي تتناول الأبعاد كالطول والعرض والارتفاع والأشكال كالنقطة والخط والسطح والحجم. وفى هذا الجزء نلاحظ مفردة "البسيطة" التى تتضمن الأنفاس اللامتناهية حيث الحديث هنا عن كون الحياة لامتناهية وغير محدودة.

در هندسه دقيق اندوه

تنها مى ماند

- يبقى وحيداً فى هندسة الحزن الدقيقة (نفسه: ٤٢٥)

لقد تخيل الشاعر الحزن بشكل هندسى معتبراً محيط الحزن المحدود الشبيه بالسجن، كشكل هندسى.

٧. الخطوط

خطوط جاده در اندوه دشت ها گم بود

- لقد كانت خطوط الطريق قد ضاعت فى حزن السهول (نفسه: ٣٠٥)

إن مفردة الخط المعروفة، تمثل شكل الطريق بشكل واضح فى ذهن القارئ سواء أ كان الطريق ممتداً أم منحنياً بقليل من التخيل، يكن اعتبار السهل دائرة واسعة ضاعت فيها مجموعة من الخطوط الضئيلة الصغيرة، ولا تظهر للعيون إن مفهوم الاتساع فى السهول يولد شيئاً من الوحدة والغربة، تم التعبير عنهما بحزن السهول.

كجاست جشن خطوط؟

- أين احتفال الخطوط؟ (نفسه: ٣٢٦)

إن أول شىء يتبادر إلى الذهن هو مجموعة من الخطوط المجتمعة فى مكان واحد تتصف بالحركة، ويبدو أن الشاعر فى بحث مستمر عن مكان بهذه المواصفات.

٨. المنحنى

اگرچه منحنى آب بالش خوبی است

برای خواب دل آویز و ترد نیلوفر

- على الرغم من أن منحنى المياه مخرجة رائحة لسبات النيلوفر الخلاب الطرى ...

(نفسه: ٣٠٨)

إن السطح المنحنى معروف لدى الجميع، فسطحا المخدة فوقانى والتحتانى منحنيان. فالشاعر قد اعتبر سطح المياه بحركته الناعمة كمخدة ينام فوقها النيلوفر المائى. فتعبير المنحنى يقود إلى الأمواج الهادئة الحاصلة من حركة المياه، فهى كالمهد الذى يهتز ويهز النيلوفر فى حركة هادئة. وواضح أن حركة المهد تجرى فى حركة منحنية أيضاً. فالطفل النيلوفر ينام فوق مهد المياه، غير أن هذا النوم الخلاب قابل للاضطراب، لأنه كما وصفه طرى أيضاً.

٩. الموشور

که وقت از پس منشور دیده می شد

- فالوقت لا يرى إلا بعد الموشور (نفسه: ٣١٤)

إن الموشور فى الرياضيات شىء ذو أوجه، حيث إن قواعدها متساوية الأضلاع

وإن وجوهها الجانبية متوازية الأضلاع. وقد يكون الشاعر هنا شبه شكل زجاج الساعة بالمشور الذى يظهر الزمن من خلاله.

١٠. السطح

١١. السطوح

من از کدام طرف می رسم به سطح بزرگ؟

- من أى اتجاه يمكنى بلوغ السطح الكبير؟ (نفسه: ٣٢٦)

إن مفهوم السطح كمصطلح رياضى واضح للجميع، حيث جاء بعد احتفال الخطوط. وقد تخيل الشاعر مكاناً واسعاً تجمعت فيه الخطوط وإذا ما اعتبرنا السطح فى مفهوم المستوى والرتبة والدرجة، فإننا سنلاحظ مراد الشاعر فى بحثه عن الكمال بشكل جلى.

پر از سطوح عطش کن

- املاءه بسطوح من العطش (نفسه)

وعندما تتعدد السطوح وتتجاوز تتولد الأحجام، وهى الأقدر على احتواء الأشياء.

١٢. المساحة

و امتداد مرا تا مساحت تر لیوان

- وامتدادى حتى مساحة الكأس المبتلة (نفسه)

يطلق مصطلح المساحة على الفضاء الداخلى وهو مختلف عن المحيط، ونضرب مثلاً الكأس فالمساحة هى الفضاء الداخلى للكأس أى المكان الذى يسكب فيه الماء أى داخل الكأس وحتى الجدار الداخلى فيها. غير أن المحيط هو داخل الكأس حتى الجدار الخارجى أى إن المحيط أكثر من المساحة. ومن البديهي فيما يتعلق بالكأس أن المساحة تستخدم أكثر من غيرها حيث استخدمها الشاعر وبيدو أن مراد الشاعر من مفردة "المبتلة"، هو التمتع بما تحتويه الكأس.

١٣. المحيط

بر محيط روتق نارنجها خط مماسى بود

- كان على محيط رواج النارنج كخط مماس (نفسه: ٣٧٠)

يطلق مصطلح المحيط على حوالى الشيء، وكما تقدم فإنه أكثر من المساحة. فالشاعر هنا اعتبر رواج النارنج سطحاً معيناً، وهو ما يقال عنه المحيط. يمكن اعتبار النارنج هو الدائرة، والمحيط هو ما حول النارنج أى حولها:

١٤. الخط المماس

بينش همشهريان، افسوس،

بر محيط روتق نارنجها خط مماسى بود

- إن نظرة المواطنين، وا أسفا

- كان على محيط رواج النارنج كخط مماس (نفسه)

يطلق الخط المماس على الخط الذى يتصل بشىء، فعلى سبيل المثال، إذا افترضنا دائرة التصق خط من الخارج على حواليتها فإن ذلك الخط هو الخط المماس. وقد شبه الشاعر امتداد نظرة الناس بخط اتصل بمحيط رواج النارنج، وهو يتحسر على أن الناس لا يرونه، وأن نظراتهم محدودة، فهم لا يرون أكثر من دائرة النارنج، ولكنه يرى ذلك حيث يقول:

امتحان كردم انارى را

انبساطش از کنار اين سيد سر رفت

- لقد جربتُ رمانه طفح انبساطها من جانب هذه السللة (نفسه)

يبدو أن استخدام الخط المماس هو أفضل طريقة للتعبير عن هذا الموضوع وتحديد هذه الحدود. فالشاعر فى واقع الأمر يشاهد ما هو أبعد من الخط المتصل بالنارنج والرمانه وهو يمتاز بنظرة واسعة وإدراك عميق.

١٥. اللامتناهى

ميوههاى بى نهايت را كجا مى شد ميان اين سيد جا داد؟

- أنى للفواكه اللامتناهىة أن تسعها هذه السللة؟ (نفسه)

لمصطلح اللامتناهى مفهومه الخاص فى الرياضيات، كما أنه قد حاز على المكانة المفهومية ذاتها بين عامة الناس. فالشاعر قد عبر عن النظرة هذه بلغة أخرى، معتبراً الواقع أبعد بكثير عن مستوى فهم الناس. فهو لا ينظر كسائر الناس بل يرى آفاقاً بعيدة جداً. إنه يشاهد الرمان وقد طفح من السلة. للبروفسير حسابى نظرية تحت عنوان "نظرية الذرة"؛ وهى تقول: إن كل جسم يتكون من عدد لامتناه من الذرات، ويعتبر الجسم ذاته القسم المتراكم من الذرات غير أن الذرات المتعلقة بها متناثرة حتى اللانهاية. وبالنظر إلى هذه النظرية، يمكننا أن نفهم الرمان الذى يطفح من السلة.

١٦. حاصل الضرب

من از حاصل ضرب ترديد و كبريت مى ترسم

- إتنى أخاف من حاصل ضرب الشك والكبريت (نفسه: ٣٩٦)

تعد عملية الضرب إحدى العمليات الأساسية فى الرياضيات: "الجمع، والطرح، والضرب، والقسم"، والتى تؤدى إلى الزيادة والكثرة. فالشاعر يقصد من ضرب الشك والكبريت، خلق فضاء أكثر منهما، واللذين يحملان الطابع السلبي على الأغلب.

١٧. المؤرب

عكس من افتاد در مساحت تقويم:

در خم آن كودكانه هاى مورب

- انعكست صورتى فى مساحة التقديم

- فى انحناء تلك الأعمال الطفولية المؤربة (نفسه: ٤١٢)

١٨. الهندسى

من همه مشق هاى هندسى ام را

روى زمين چيده بودم

- لقد فرشت على الأرض جميع واجباتى الهندسية (نفسه)

١٩. المثلث

جند مثلث در آب غرق شدند

- غرقت بضع مثلثات في الماء (نفسه: ٤١٢)

يبدو أن الشاعر، يرسم هنا شاطئ البحر، وقد لجأ إلى ذكريات الطفولة. وهو يقصد فصلاً معيناً كان يرسم فيه الأشكال الهندسية على رمال الشاطئ، حيث أدى المد إلى أن تغرق بضع مثلثات تحت المياه.

٢٠. الأضلاع

باران اضلاع فراغت را می شست

- كان المطر يغسل أضلاع الفراغ (نفسه: ٤١٧)

لقد أخذ الفراغ شكلاً هندسياً ورياضياً في ذهن الشاعر، وأصبحت له أضلاع انهمرت من فوقها الأمطار. ولعل مردّ هذا التخيل إلى أن أكثر الأشكال الهندسية مثل المثلث، والمعين، والمربع، و ... تمتاز بمحيطها المحدود، ويمكن تصور الشكل المغلق منها.

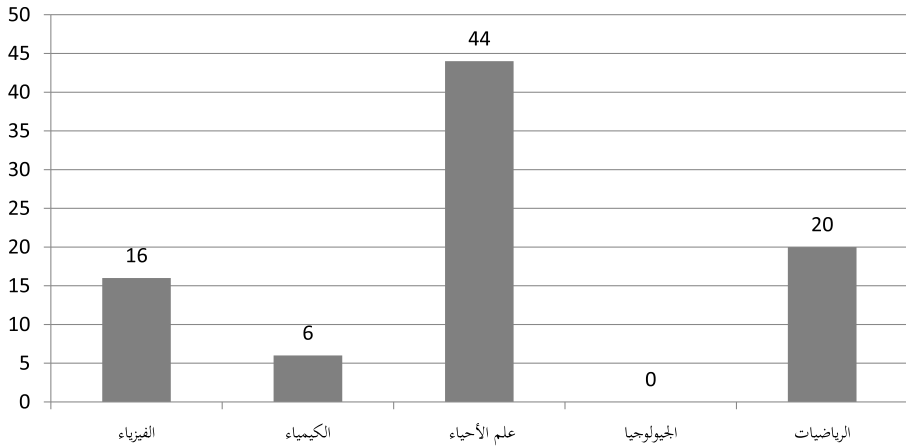
المداول والرسوم البيانية

العلوم الأساسية	الرياضيات	الجيولوجيا	علم الأحياء	الكيمياء	الفيزياء	الجمع
عدد المفردات	٢٠	٠	٤٤	٦	١٦	٨٦

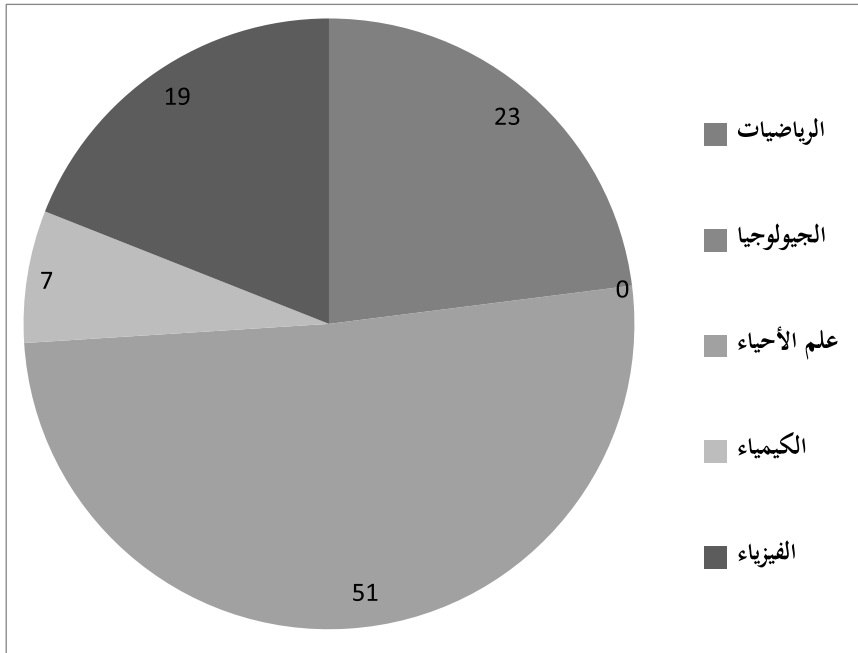
الجدول رقم ١. دائرة مفردات العلوم الأساسية في مجموعة "هشت كتاب"

العلوم الأساسية	الرياضيات	الجيولوجيا	علم الأحياء	الكيمياء	الفيزياء	المجموع
نسبة الاستخدام	٢٣%	٠	٧%	٧%	١٩%	١٠٠%

الجدول رقم ٢. نسبة استخدام العلوم الأساسية في مجموعة هشت كتاب



الرسم البياني رقم ١. دائرة مفردات العلوم الأساسية في مجموعة هشت كتاب



الرسم البياني رقم ٢. نسبة استخدام العلوم الأساسية في مجموعة "هشت كتاب"

النتيجة

لابد من الأخذ بعين الاعتبار أن استخدام المصطلحات الرياضية في شعر كل شاعر، لا ينبع بالضرورة عن الفكر الرياضي المتعمد. غير أن استخدام هذه المصطلحات يعقد

فهم الشعر بشكل واع أو لا واع. لذا فقد أدت دراسة تأثير المفردات والمفاهيم الخاصة بالرياضيات في مجموعة "هشت كتاب"، وتحليل الأشعار على أساس هذه المفردات والمفاهيم إلى شرح العديد من تعقيدات شعر سبهرى، ولم يكن ذلك ليتسنى إلا عبر هذا المنهج.

إن الرسوم البيانية العمودية، والدائرية تشير إلى دائرة مفردات الشاعر في مجال العلوم الأساسية في مجموعة "هشت كتاب" ونسبة استخدامه لهذه المفردات والمفاهيم الخاصة بهذه العلوم فيها. فعلم الرياضيات قد حاز بعد علم الأحياء ونسبة ٢٣٪ من النسبة الكلية على المرتبة الثانية.

فعلى الرغم من أن وجود المفردات الخاصة بالرياضيات في شعر سبهرى قد أصابه ببعض التعقيد - الأمر الذى ينبج عن خصائصه الكلامية، والفكرية، ولا يرتبط بحضور مفردات علم الرياضيات - غير أن وجود هذه المصطلحات والمفاهيم قد أدى إلى فهم أفضل وإدراك أعمق لهذا الشعر. وازداد عمقاً وثراءً، إذ إن الارتباط بين الدقة والإحساس يؤدي إلى زيادة الشعور بجمال الكلام. إن وجود مصطلحات الرياضيات، ومفاهيمها قد يزيد من حضور عنصر الخيال - وهو إحدى ميزات الشعر المهمة - وإن قوة هذا العنصر تزيد من شعرية الشعر.

المصادر والمراجع

- سبهرى، سهراب. ١٩٩٩م. هشت كتاب. ط ٢٢. طهران: انتشارات طهورى.
- _____ ٢٠١١م. صدای پای آب. ط ٤. طهران: نشر کتاب پارسه.
- _____ ٢٠١١م. هنوز در سفرم. ط ١. طهران: نشر فرزانه روز.
- كمالى، بهرام. ٢٠٠١م. فرمولها وتعريف رياضى (١) وهندسه (١). ط ١. لامك: نشر طهران.
- نظامى بهروز، داوود ومحمود صلواتى. ٢٠٠٦م. «بررسى اصطلاحات ومفاهيم رياضى در شعر فارسى با تكيه بر ديوان خاقانى، انورى، مسعود سعد ونظامى». نشریه زبان وادبيات فارسى. العدد ٧. صص ١٥٠-١٢٩.